

الفصل الثاني عشر

منتجات اواخر العصر الحماسي

تمهيد :

الآن وقد وصلنا إلى نهاية العصر الحماسي ، ورأينا أن هذا النوع من الشعر قد شاخ وتضعف ، وانصرفت عنه الميول ، ولكن لا إيداناً بمغيب شمس المواهب أو انطفاء مصباح العبقریات ، بل انعطافاً إلى لون آخر من الشعر قد بدأ يشب ويتزعزع ويستولى على النفوس ويشغل المسكان الذي كان الشعر القديم يشغله على مسرح الحياة الأدبية ، ورأينا من نتائج هذا التضعف ما رأيناه في الفصل السالف من قصائد ضعيفة المباني ، تافهة المعاني ، قصيرة المرامي ، رخيصة المغازي ، فقد وجب علينا أن نشير هنا إلى طائفة من القصائد ألفت في هذا العهد وانخدع المؤرخون القدماء في أصل بعضها ، فعزوه إلى هوميروس ووضعوا له عنوان « النشائد الهوميروسية » وتلك نسبة زائفة دون أدنى ريب ، وإن كان الحق يتطلب منا هنا أن نعلن أن من يتصفح هذا الجانب المعزوه إلى هوميروس من تلك النشائد لا يلبث أن يسترعى انتباهه بصيص ضئيل خلفه انعكاس متعثر من ذلك الضوء الهائل الذي كان لا يزال يشع من الإلياذة والأوديسا على ذلك العصر المتخاذل السائر في طريق التخلي عن عرشه خلفه الناشئ ، وليس هذا فحسب ، بل إن كل ما يلتقي به القارئ في هذه النشائد من معالم الفن الرفيع هو أثر باهت لذلك السمو الذي كان قد انتهى من تسجيل الخلود لهذا الإنتاج المعجز ولأربابه الأفذاذ .

ومهما يكن من شيء فقد ظل هذا الخطأ سائداً بينات المتأربين حتى أزال النقاد المحدثون النقاب عن الحقيقة بفضل العثور في هذه النشائد على أسماء أو حوادث لم تنشأ إلا

فى القرن السابع مما يستحيل معه القول بصورها عن مؤلف الإلياذة والأوديسا . ومن هذه القصائد كذلك قصائد الهجاء والذع والسخرية وقصيدة « مَرَجِيْتِس » وقصيدة « بَثْرَاخْمِيوماخِيَا » أى الضفادع ، وهناك شيئاً عن هذه النشائد وتلك القصائد :

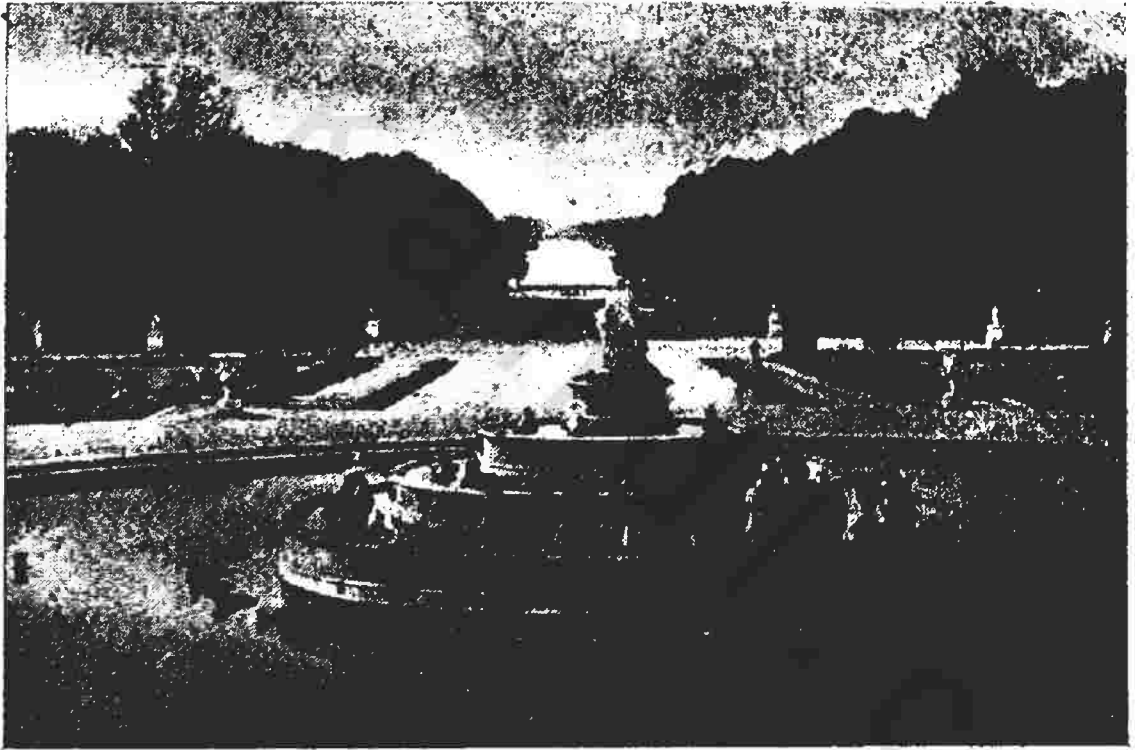
(١) النشائد الهوميروسية

بلغت هذه النشائد أربعة وثلاثين نشيداً منها خمسة هى حقاً من مؤلفات العصر الهوميرى الطويلة الجديرة بالاعتبار ، وتسعة عشر ، قصيرة إلى حد أن بعضها لا يتجاوز بضعة أبيات والعشرة الأخر متوسطة ، ولكنها جميعها متفقة فى التفكير ، متجانسة فى الحديث عن الآلهة ، بل هى كلها مهداة إلى الآلهة ما عدا ثلاثة من أقصرها ، أحدها موجه إلى هيركليس ، والاثنان الآخران موجهان إلى « كستور » و « بوليدُ كَلِيس » التوأمين شقيقى هيلينيه وإليك موجز أهم هذه النشائد :

١ - نشيد إلى أبولون فى ديلوس « وهو رقم (١) فى المجموعة »

يُعتبر هذا النشيد أرقى تلك المجموعة وأكثرها حظاً من الرشاقة والجمال . والغاية التى قصد إليها المؤلف من إنشائه هو تمجيد أحد أعياد جزيرة ديلوس وتسجيل مولد أبولون فيها . ومجمله أن المؤلف يتغنى بحياة أبولون بن زوس ، وليتو ، ذات الشعر الجميل . (انظر الصورة رقم ٢٤ فى الصفحة الآتية) فينبئنا بأن زوس بعد أن يجتمع بهذه الإلهة الغاتنة يعلن فى الملاء أن هذا الاجتماع سينتج منه له ابن يدعى أبولون رامى السهام ، وأنه سيكون جباراً يروع كل من يعاديه ، فلا تكاد الجزائر تسمع هذا النبأ حتى تبادر إلى طرد ليتو من فوق أرضها . لكن لا تنجى على نفسها بوجود هذا الإله القاسى فيها ، فتظل هذه الإلهة شريفة طريفة لا تحل فى مكان حتى يسرع أهله إلى إقصائها عنه . ولا تزال كذلك حتى تنزل بجزيرة ديلوس شبه القاحلة فتطلب إليها أن تؤويها حتى تضع حملها فتجاوبها الجزيرة بهذه العبارات :

« ليتو يا أشهر بنات كيوس العظيم أنا أتقبل بامتنان نسلك الملكي ذا القوس ، لأننى سيئة الشهرة بين بنى الإنسان ، وبهذا سأصير أكثر شرفاً ، ولكننى أخشى ما يقال يا ليتو ، وإن أخفى عليك ذلك . يقال : إن أبولون يجب أن يكون متكبراً ، وسيكون مخوفاً بين الآلهة والأناسى فوق الأرض الخصب . ولهذا أنا أخشى فى عقلى وقلبى أنه بمجرد ما يرى ضوء هليوس (الشمس) يحتقرنى لأننى أرض قاحلة ويركبنى بقدميه ، فيدفعنى فى البحر العميق حيث المياه العظيمة المليئة بالعنف تفرقنى إلى الأبد . وإذ ذاك ينصرف نحو أرض



[الصورة رقم ٢٤ مأخوذة عن تمثال رخامى تبرز قاعدته من أحد أحواض المياه فى حديقة قصر فرساي بفرنسا وهى تمثل الإلهة الصغيرة ليتو ومعها ولداها أبولون وأرتيميس اللذان أنجبتهما من زوس ، ويدعى هذا الحوض منذ أن أسس بحوض ليتو] .

أخرى تزوجه أكثر منى حيث يبني له فيها معبد فى غابة مقدسة ذات أشجار كثيفة
لكن أنت ستطمئنينى أيتها الإلهة لو تقسمين لى القسم العظيم أنه سيشيد هنا معبده الأعظم الذى سيكون فيه وحى الأناسى ، جميع الأناسى لأنه سيكون مشهوراً » ^(١) .

(1) Hymnes Homériques, traduction Leconte de Lisle, ds Odyssée, p. 359.

وعلى أثر ذلك تتمهد لها الإلاهة بما تريد ثم تلقى عصا التسيار فوق أرضها وتظل تنتظر اليوم المشهود . وعند ما يحين هذا اليوم يجتمع حولها مشاهدة الموضع عدد من الإلاهات مثل : « ديونيه » و « رهيا » و « ثيميس تابعة الآثار » و « أنفرتيه الرنانة » وكل الإلاهات الإلهريه ذات الذراعين البيضاءين ، التي كانت جالسة في دار زوس جامع السحب^(١) .

وبعد هذا يصور لنا المؤلف مولد أبولون فيقدم إلينا لوحة فائنة للإلاهات اللواتي يُحْدَقْنَ بالوليد فيَحْمِئَنَّهُ ويدثرنه في ملابس بيضاء خفيفة جميلة ثم تسقيه ثيميس من شراب الآلهة وتطعمه من طعامهم حتى لا يدخل إلى جوفه طعام وشراب البشر القانين . وعلى الفور « كان » فيوس أبولون إلاه الشمس ذو التروس الطويلة والسهم السريعة يسير على الأرض الواسعة ، وكانت جميع الإلاهات ينظرن إليه وقد تملكهن الإعجاب . وفي الحال تذررت جزيرة ديوس كلها بزهور ذهبية كانت تذرقة الجبل في فصل الربيع بزهورها تحت تاج من الغابات^(٢) (انظر الصورة رقم ٢٥ في صفحة ٢٢٤) .

وأخيراً يحدثنا المؤلف بعد ذلك عن عيد أبولون في ديوس الذي أسلفنا لك أنه كان أحد غايتيه من إنشاء هذه القصيدة فيروى لنا أن الإيونيين يقدون إليه من كل حذب لبشاهدوا ويسمعوا رقص وغناء الجوقة التي يعتمد عليها شاعرنا في تخليد اسمه ، ويختتم قصيدته بالتوجه إليها في هذه العبارات :

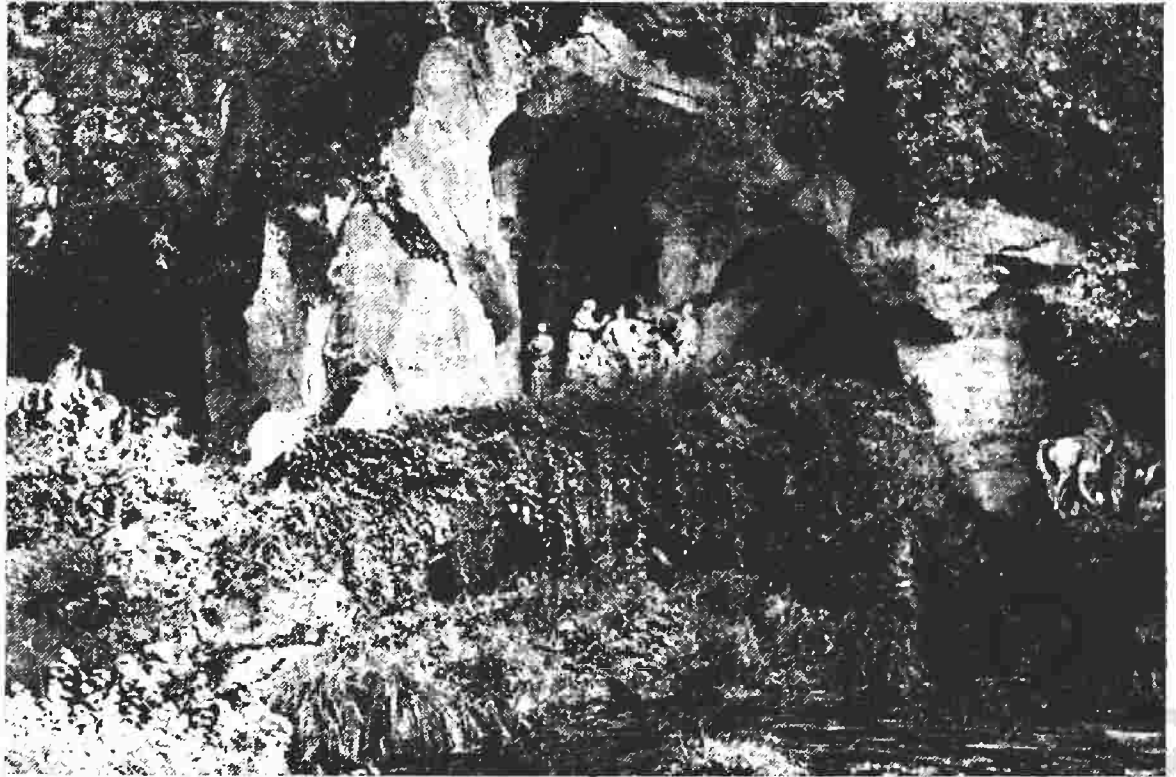
« كن سعيدات جميعاً وتذكرنني في المستقبل حينما سيحجىء إليكن بعض الغرباء من مسافة بعيدة وقد أضناه التعب فيسألكن قائلاً : أيتها الفتيات أى شعرائكن أحب إليكن ؟ وأيهم ذلك الذى يسحركن أكثر من غيره ، عند ذلك كن جميعاً على اتفاق في ردكن عليه بهذه العبارة العذبة : هو شاعر أعزى يقطن جزيرة خيوس الصخرية ، وستظل نشائده مستمتعة بالشهرة في المستقبل^(٣) .

Même ouvrage, p. 360. (1)

Même ouvrage, p. 361. (2)

(٣) أنظر البيت رقم ١٦٦ وما بعده من نشيد إلى أبولون الديلوسى .

لا ريب أن هذا البيت الأخير هو الذى خدع القدماء وجعلهم يعززون هذه القصيدة إلى هوميروس ، لأن هذا الأخير كان أعمى وكان من جزيرة خيوس على نحو ما حدثنا عن نفسه . وليس أدل على زيف تلك النسبة من هذا البيت الذى أتى به ذلك الفاحل الساذج ليصحح به دعواه ، فكان حجة عليه لاله ، لأن عهدنا بهوميروس أنه متواضع لا يتباهى بشعره ولا يفرض شهرته على الأجيال المقبلة كما يفعل شاعرنا الزائف ، ولعله - كما يرى الأستاذ بيرون - أحد تلاميذ هوميروس ، وقد أراد أن يمجّد أستاذه ووطنه بهذا اللون من التباهى ولم يكن دقيقاً فى استكناهاه حقيقة ذلك الأستاذ الجميل الذى توارت عظمته مع تواضعه فتضافرا على إبلاغه مرتبة الخلود .



[الصورة رقم ٢٥ مأخوذة عن منظر أحد جوانب حديقة قصر قرساي ، وهي تمثل صخوراً قاعة عند أحد مداخل القصر البحرى الذى كان أبولون يستجم فيه كل مساء بعد أن ينتهى من مهمة إضاءة الأرض ، ويرى فى الصورة أبولون محوطاً بست من نبات البحر يقمن بخدمته ويتعطّره ، وكلهن تماثيل رخامية كالإلاه ، وترى كذلك جياد مركبة أبولون تستريح فى أسفل الصخرة] .

٢ - نشيد إلى أبولون في بيلو (وهو رقم ٢ في المجموعة)

يتابع مؤلف هذه القصيدة السلسلة التي بدأها مؤلف القصيدة السابقة ، فيحدثنا أن أبولون يصعد من جزيرة ديوس إلى الأوليوس فيستقبل في منزل والده زوس استقبالا حافلا ، ثم يعين رئيسا على أخواته عرائس الشعر ، فيسر الآلهة بإرقاصه أمامهم إلهات الرشاقة والساعات السعيدة ، وأفروديتيه وشقيقته أرتيميس الفرحة بسهامها ، ثم ينزل بعد ذلك من الأوليوس ويطوف جهات الهيلين جهة بعد جهة ، ليمحس عن مكان يقيم لنفسه فيه معبداً . وفي أثناء سيره يمر بنبع الإلهة دلفوسيه فيروقه ذلك المكان فيميل إلى تأسيس معبده فيه ، ولكن إلهة النبع - وهي إحدى عرائس البحر - لا تريد أن يطفى اسم أبولون على اسمها فيخفته ، وإذ ذاك تضلله وتظاهر بأنها تنصحه فتدله على مكان ملائم في سفح جبل البرناسوس ، والغاية التي تهدف إليها من وراء هذا الإضلال هي أن يلقى أبولون حتفه في هذا الموضع الرهيب الخطر الذي لا يتجه إليه أحد حتى يقضى نحبه في الحال .

وعند ما يصل أبولون إلى هذا المكان يجد كائنين بشعين لا عمل لهما إلا أذى بني الإنسان ، أولهما تنينة فظيمة ، وثانيهما تيفاؤون بن هيريه الذي وكلت أمه أمره قصداً إلى هذه التنينة لتطعمه من لبنها حتى ينشأ قوياً جباراً فتدخره للاقتصار به على زوجها زوس إذا دعت الضرورة إلى ذلك .

وهنا يهجر المؤلف القصة آونة ليقفنا على منشأ هذا الكائن المزعج ، فيروي لنا أن هيريه لا تكاد ترى زوس ينبج أثنيه منفرداً ، وتلاحظ أنها أخفت في إنجاب هيفيستوس حتى تشور نائرتها ، وتأكل الغيرة ذبالة فؤادها وتهتف في جمعية الآلهة قائلة :

« استمعوا إلي جميعاً أيها الآلهة وأنتم أيها الإلهات : ما دام أن زوس جامع السحب هو الذي بدأ بتقديمه الإهانة إليّ أنا التي اتخذني زوجاً له فأنجب بدوني أثنيه ذات العينين (م ١٥ - الأدب الهليني)

الزرقاوين التي هي جد ماجدة بين جميع الآلهة السعداء ، على حين أن ابني هيفستوس الذي ولدته أنا بنفسى ضعيف وقدماه ملتويتمان ، لأن زوس قبض عليه بيديه وألقاه في البحر الواسع ، ولكن ابنة زيرئوس ثيتيس ذات القدمين الفضيّتين تلقتة وأحضرتة إلى أخواتها . وأنت أيها المشنوم المغم بالحيل كان الواجب يقضى عليك أن تكون على حالة أخرى لترضى الآلهة . والآن ماذا تبيت أيضاً ؟ كيف جرؤت على أن تنجب وحدك أثينيه ذات العينين الزرقاوين ؟ هل أنا لم أعد أستطيع الولادة بعد ؟ أنا التي دعيت مع ذلك زوجتك بين الآلهة . والآن أنا أريد أن أحاول شيئاً آخر لكي ألد ابناً يسود بين الآلهة دون أن ألوث سريرك ولا سريري^(١) .

بيد أن هذه الإلهة الهائجة لا تكاد تمنجب منفردة ابنها الثانى تيفاؤون حتى تلفيه أشد قبحاً وأكثر دمامة وتشوهاً من الأول فلا يسعها إلا أن تقصيه عن الأولوس إلى سفح جبل البرناسوس وتكل حراسته إلى تلك الثنينة المؤذية .

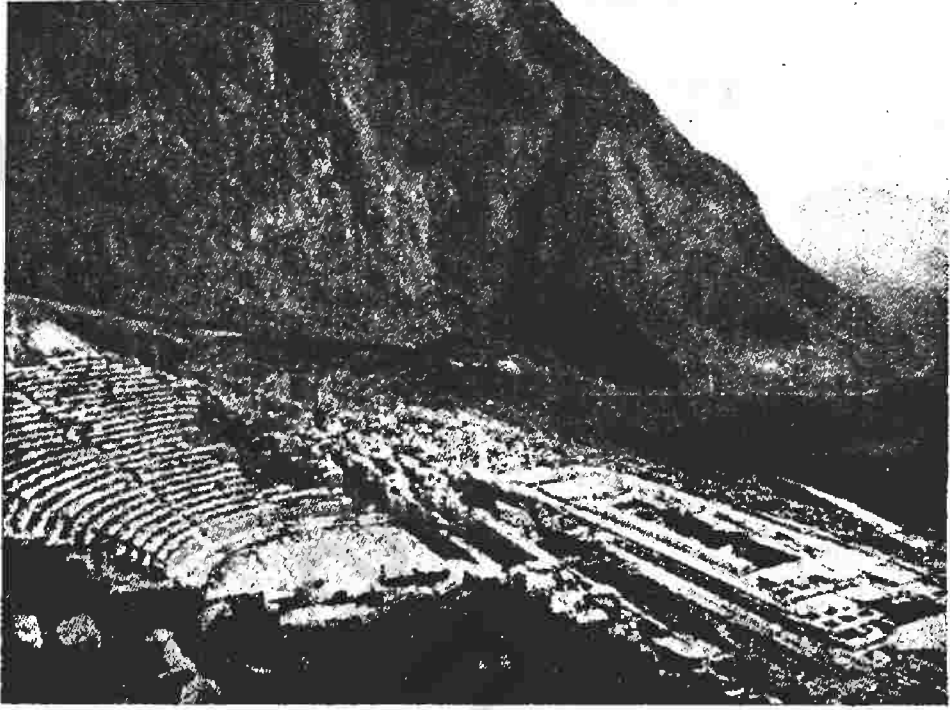
يعود المؤلف بعد هذه الاستطرادة الشيقة إلى متابعة قصته فيروى لنا أن أبولون عندما يقع نظره على هذه الثنينة يصبو إليها سهامه الذهبية فيردبها قتيلاً .

ومنذ ذلك اليوم يسمى هذا المكان : پيثو ، وينتسب إليه ، أبولون ، فيطلق عليه اسم ، أبولون الپيثوى ، ثم يأمر بالبده في إقامة معبد له هناك ، ويرجع هو لمعاقبة النبع الذى كان قد ضلله ، وعند ما يصل إليه يضع فوقه صخرة عظيمة ، يبنى عليها لنفسه معبداً آخر ثم يرتحل بعد ذلك ليمحث عن سدنة لمعبده الأول الذى أمر بتشيدده في ، پيثو ، فيعثر فوق صفحة البحر على قوم من جزيرة كريت التي اشتهر أهلها بالقوى والمهارة في تقديم القرابين والضحايا وخدمة الآلهة عامة ، ولكنه لكي يقود سفينتهم إلى حيث يوجد معبده يتشكل بشكل دلفين^(٢) ويقود السفينة بركابها إلى سفح البرناسوس ، وهناك يسترد صورته الحقيقية ويظهر لهم رأى العين ويوضح لهم أنه قد قدر لهم أن يكونوا كهنة معبده ويبين لهم ما يجب

(١) Hymnes Homériques, trad. Leconte de Lisle, ds vol L' Odyssée, p 366.

(٢) دلفين هي سمكة كبيرة ، وقد حرف اسمها الإغريق فنطق بالغريرية درفيل .

عليهم عمله ويفهمهم أن هذا المعبد يسمى منذ ذلك اليوم بمعبد ذلفيه وهو اسم السمكة التي تشكل بشكلها اقيادة سفينتهم إلى هذا المكان ويشرهم بأنهم سيصبحون أنبياء وعرافين وستظهر



[الصورة رقم ٢٦ مأخوذة عن المنظر الواقعي لموضعها من الجبل ، وهي تمثل ما بقي إلى الآن من أطلال معبد ذلفيه ومسرحه الذي بنى بعد تشييد المعبد بزمن غير قصير]

على أيديهم نبوءات عظيمة بالمستقبل ، وبأنهم من أجل هذا سيكونون موضع إجلال الناس جميعاً .

ويطلق النقاد المحدثون على هذه القصيدة بأنها أقل سمواً ورشاقة وأنزل مستوى في الأسلوب والنهج القصصى من سالفها مما يدل على أن مؤلفها لم يكن له من العبقرية والموهبة مثل حظ صاحبه منها ، ومع ذلك فإن القدماء كانوا يلحقون الثانية بالأولى ويعتبرونها قصيدة واحدة . ولا يزال بعض النقاد المحدثين يعتقدون هذا الرأي ، وعذرهم في ذلك واضح وهو أن الثانية تبدأ بعد انتهاء الأولى بهيئة طبيعية كأنها تكميل لها ، ولكن فريقاً آخر من النقاد قد فصلوها معتمدين على تباينها في الأسلوب والخيال والروح القصصى والنهج ، وبرهنوا على أن المؤلف الأول أقرب إلى هوميروس ، والثاني ألصق به زيودوس . .

٣ - نشيد إلى هرْميس (وهو رقم ٣ فى المجموعة)

يتغنى الشاعر فى هذا النشيد بتاريخ مولد هرْميس رسول الآلهة ونشأته ومواهبه وصفاته ، فيحدثنا أن زوس وإحدى صغيرات الإلهات تدعى مايا^(١) ، ينجبانه ويكون ذلك فى كهف مظلم حتى لا ترى ، هيريه ، خفة زوجها وخيانتة .

وإذ تضعه أمه تظهر عليه فى الحال الدقة والفصاحة والقدرة على قيادة الأحلام والرؤى وإرسالها إلى من شاء متى شاء ، ولكنه فى الحال أيضاً يظهر عليه الميل إلى اللصوصية .

يولد فى الصباح فلا يأتى الظهر حتى يعثر على سلحفاة فيخطر له أنها لازمة لموسيقاه التى يهيم بها فيقتلها ويصنع من ظهرها القيثارة الأولى التى يظل يغنى عليها حتى يسمو بالموسيقى إلى درجة الكمال . وعلى أثر ذلك يهجر الكهف ويحول فى الجبال والوديان . وعند غروب الشمس يتجه إلى الجبل الذى تقيم عليه ثيران الآلهة فيسرق منها خمسين ثوراً وبقرة هى ملك لأبولون رامي السهام ، ولكنه يستخدم لإخفاء هذه السرقة حيلة غريبة ، إذ يجعل الثيران تسير إلى الخلف أى بعكس سيرها الطبيعى حتى يخفى معالم آثار أظلالها .

وبعد أن يتم هذه المهمة يعود إلى الكهف فيزمل نفسه فى لفافات الأطفال وينام فى المهد نومة الطفل النقي البريء الذى لا يعرف من آثام الحياة كبيراً ولا صغيراً .

وفى صباح اليوم التالى يفتقد أبولون ثيرانه فلا يجدها فيقوم بتحقيق فى مصيرها فينبئه أحد الشيوخ بأنه رأى طفلاً يدفع قطعاً ويسيره تسيراً منعكساً . وعلى أثر سماع أبولون هذا الوصف يرتاب فى الأمر ويتجه توجهاً إلى كهف مايا فيرى الطفل نائماً فى المهد فيسأله عن الثيران فينكر ويحتج بشدة قائلاً :

« يا بن ليتو ، أى كلام جاف ذلك الذى توجهه إلى ؟ لماذا أنت جئت إلى هنا تبحث عن أبقارك ؟ إني لم أر شيئاً ولم أعلم شيئاً ولم أسمع أى حديث عنها ، ولا أستطيع أن

(١) مايا هى ابنة أتلاس بن يابيتوس ، وهو أحد التيتانوس .

أقول لك عنها شيئاً ، وبالتالى لست أنا الذى سأربح مكافأة العثور عليها . أنا لا أشبه رجلاً قوياً قديراً على سرقة الأبقار ، وليس هذا عملي ، وعندى هموم أخرى ، فأنا أنشغل بالنوم وبلبن والدقى وبوضع اللفافات حول كتفى ، وبلاستحمام بالماء الفاتر . إحذر أن يسمك أحد وأن يتبين سبب هذا النزاع فإنه سيكون من الأمور الخارقة للعادة بين الآلهة أن يقال : إن طفلاً حديث الولادة سرق ثيراناً . أنت تتحدث الآن كالمعتوهين ، فأنا ولدت أمس ، وقدمائى رقيقتان ، والأرض خشنة ^(١) .

ولكن أبولون لا تنظلي عليه هذه الحيلة ولا يصنى لشيء مما يقول وبطل مصمماً على اتهامه إياه فيقتاده إلى والده ويقص عليه الحادثة ويروى له ما أنبأه به الشيخ فيصر ، هرْميس على إنكاره ، غير أن زوس الذى يعلم الحقيقة يسر من لباقة هذا الإلاه الوليد وذكائه ^(٢) ، فيحرص على أن يزيل سوء التفاهم الذى وجد بينه وبين أبولون فيأمر بأن ترد الثيران والأبقار إلى صاحبها . ولما كان هرْميس قد ذبح منها اثنين فإنه يهدى إلى أبولون قيثاره السلحفاة ويعلمه التوقيع عليها فيسر بذلك سروراً عظيماً ويستقسمه ألا يعود إلى السرقة بعد الآن ، فيقسم له . وبهذا يصبح صديقاً له ويكمل إليه رعاية جميع ثيرانه .

٤ - نشيد إلى أفروديتيه (وهو رقم ٤ فى المجموعة) :

يترنم المؤلف فى هذا النشيد بحال أفروديتيه وسحرها ، وهيام جميع الآلهة بها ، ويحدثنا بأن حسننها لا يقف عند حد فتنة الآلهة ، بل إنه يفتن الإلاهات أيضاً ويخضع كل من يراها من آلهة وأناسى إلا ثلاث إلاهات هن : ، أثينيه ، و ، أرتيميس ، و ، إستيه ، شقيقة زوس .

(١) Hymnes Homériques, trad. Leconte de Lisle, ds L' Odyssée, p. 380 - 381

(٢) ومنذ ذلك المهد يعينه زوس إلهاً للصوم والتجار لاحتياج كل من هاتين الطائفتين إلى الحيلة ، والحداع ولقرب كل منهما من الأخرى فى نظر الهيلين .

(وفي الحق أن أثينيه لم تكن أعمال أفروديتيه تنال عندها شيئاً من الخطوة أو الاحترام ، لأنها لم تكن تعجب إلا بالأعمال الجدية كالحرب وصنع عربات القتال ، وحمل الأتقال عند الرجال ، وكالتسج والحياكة وما شا كلهما عند النساء .

وكذلك ، أرتيميس ، كانت لا يروقها إلا الصيد وإجادة الرماية بالسهم ، وإلا الرقص مع حاشيتها من صغيرات الإلهات في الغابات المظلمة أو النزول في مدن اشتهر أصحابها بالاستقامة والعدالة .

أما ، إستيه أخت زوس فيكفي أن تقول في تعريفها إنها أقسمت بأكبر الأيمان لتكثن أبد الدهر عذراء ، وقد أجيب سؤلها في هذا . ولا ريب أن هذه الأخلاق الجدية التي اشتهر بها هؤلاء الإلهات الثلاث تتعارض تماماً مع أعمال أفروديتيه ، فكان من الطبيعي ألا تروق هذه الإلهة الخليعة أية واحدة منهن) .

لا يستطيع أحد النجاة من هوى ، أفروديتيه ، إلا هؤلاء الإلهات الثلاث كما قدمنا . أما الباقون فكانت تخضعهم لسلطان المجون متى شاءت وكيف شاءت حتى زوس نفسه ترغمه مراراً على الوقوع في أشراك جمال بعض النساء الفانيات خفية من هيريه أخته وزوجته الشرعية التي كانت تعد في طليعة جميلات الإلهات ، وكان زوس يشعر بذلك الإغواء بعد أن يفيق من غفلته فينجرح في كبريائه ولا يأمن أن أفروديتيه ستسخر منه يوماً ، لانخطاطه ونزوله إلى مستوى النساء الفانيات فيريد أن يتقى هذه السخرية المنتظرة فيلهمها هو الآخر بدوره أن تشتهي رجلاً من بني الإنسان حتى لا تستطيع أن تأخذ عليه ما تهوى في مثله . وسرعان ما تعشق راعياً جميلاً من رعاة تروادة يدعى أنخيسيس ، كان فوق جبل ، إيدا ، فتظهر له في صورة فتاة جميلة في ثياب فاخرة فيروع الراعي منها ويقول لها : إن كنت إلهة فأنبئينا باسمك ، لبنى لك معبداً هنا ، فترى أنها لو أطلعت على حقيقتها لرفض أن يحقق لها رغبة هواها رعباً ورفقاً ، فتخترع له قصة كاذبة تتلخص في أنها إنسانة وأنها كانت في تروادة ، وأن ، هرميس ، قد اختطفها ثم أحضرها إلى هنا معيناً لها الرجل الذي

سيظفر بها ، وهو ، أنخيسيس ، ولا يرتاب هذا الراعى فى صحة القصة فيتعشاه وتنام إلى جانبه حتى الصباح . وعندما يستيقظان تعود إلى صورتها الحقيقية وتنبيه باسمها وتخبره بأن رواية الأمس كانت كاذبة فيرتاع الرجل ويضطرب ، ولكنها تطمئنه وتؤكد له أنه لا تريب عليه ، وأنها قد حملت منه بعلام وأنها ستسلمه إليه عندما تضعه وسيدعى ، إنياس ، وأنه سيكون من أشهر سكان تروادة على شرط أنه لا ينبىء أحداً بما حدث ولا يطلع أيا كان على حقيقة والده هذا الطفل ، وإذا خالف هذا الشرط وباح بالسرى ، فإن زوس سيصمقه .

وبحسب أنه ينبغي عزو هذا النشيد إلى أحد تلاميذ هوميروس المحافظين على مبادئه لأن مؤلفه لم يحد قيد أنملة عما أثر عن مؤلف الإلياذة فيما يتعلق بعنصر إنياس الذى نشأ من غرام أفروديتيه بأحد رعاة منطقة إيدا ثم صار أميراً .

ويميل بعض النقاد المحدثين إلى عزوه إلى شاعر متملق أراد أن يتزلف إلى أحد أمراء منطقة « إيدا » فزعم أن هذه المنطقة قد تشرفت بالعنصر الإلهى . ومهما يكن من شىء فلا يمكننا تعيين الزمن الذى ألف فيه هذا النشيد وإن كنا نلاحظ أنه يمتاز بسهولة الأسلوب وخصوصية العبارات .

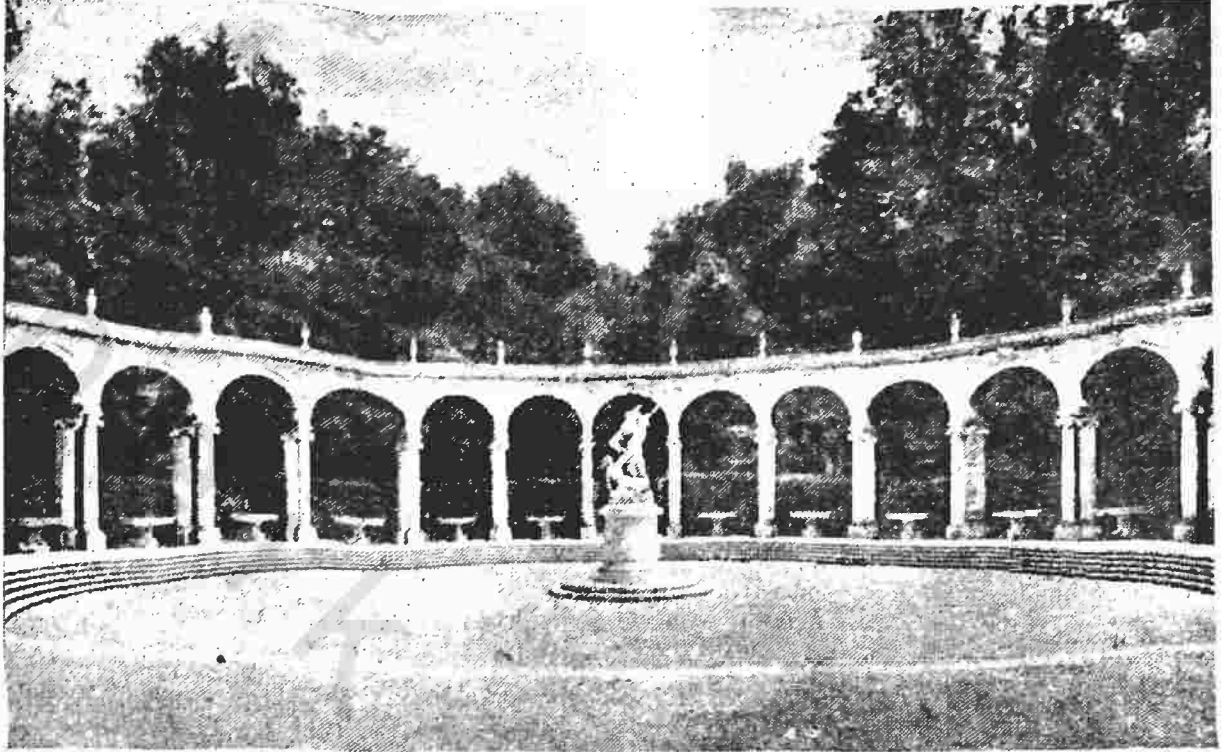
• - نشيد آخر إلى أفروديتيه (وهو رقم ٥ فى المجموعة) :

يروى لنا المؤلف فى هذا النشيد القصير كيف توجد أفروديتيه بلا أب ولا أم فيحدثنا أنها تنشأ من زبد البحر فيلتقطها إلهات الساعات السعيدة ، وإذ يرين هذا الجمال الساحر الذى تتمتع به يزئنها بفخر الحلى ويصطحبونها إلى مقر الآلهة ، فلا يكاد هؤلاء يرونها حتى يفتنوا بها جميعاً ويشتهى كل واحد منهم أن تكون له زوجاً .

٦ - نشيد إلى ديمتير (وهو رقم ٣٤ في المجموعة) :

يعتبر هذا النشيد من أرشق نشائد هذه المجموعة ويروى لنا المؤلف فيه حديث ، ديمتير ،
إلهة الحصاد ، وماتحة الحصوبة والرخاء ، فينبئنا بأن هذه الإلهة كانت لها ابنة وحيدة
جميلة تدعى « برسيفنيا » ، وأنها كانت في يوم من الأيام تقطف زهراً من أحد المروج ،
وإنها لكذلك إذ يراها هاديس المظلم شقيق زوس وإلاه الجحيم فيفتن بها افتتاناً شديداً .
واسكى تتقدم غايّاً إلى هذا الإلاه الطموح بمعونة تسهل له الاستيلاء على هذه المحبوبة
الجميلة ، تنبت لها في الحال زهرة نرجس فتسر بها سروراً عظيماً وتهم باقتطافها . وبينما هي
على هذه الحالة ، إذ يشق ، هاديس ، الأرض ويحملها على مركبة ويسير بها إلى مملكة الموتى
دون أن يرق لصياحها وعويلها (انظر الصورتين رقم ٢٧ ورقم ٢٨ في الصفحة الآتية)
ولا يراها إلا الإلاهان هليوس^(١) ، و ، هيكاتيه^(٢) . وإذ تفتقد ، ديمتير ، ابنتها
لا تجدها فيستولى اليأس على قلبها وتظل تبحث عنها تسعة أيام كاملة دون أن تذوق طعاماً .
وبعد هذه الأيام التسعة ينبئها ، هليوس ، بما حدث ويحاول أن يهدئها ولكن آلامها
تتضاعف فتغادر الأولمپوس وتنزل إلى الأرض ، لتعيش بين بنى الإنسان مخفية جهاها تحت
ملاح امرأه عجوز ، فتتجه إلى مدينة ، إيلوسيس ، بالقرب من أثينا ، فيستقبلها ملكها
وملكتها استقبلاً حسناً ويكلان إليها تربية طفلها فتريد أن تمنحه الخلود وتتخذ لذلك
وسيلة تداوم على سلوكها في كل ليلة وهي أن تضع الطفل فوق النار بطريقة حكيمة ، أو
أن تلفة في قوة النار على حد تعبير الشاعر . وفي إحدى الليالي تفاجئها والدته الطفل وهي
على هذه الحالة فتزعج وتصرخ مولولة ، فلا يسكون من الإلاهة إلا أن تستشيط غضباً
وتعلن غايتها النبيلة التي كانت تبغى إيصال الطفل إليها ، والتي هي الآن بعد صراخ والدته
مستحيلة ثم تهتف قائلة :

(١ و ٢) هليوس هو إلاه الشمس في أقدم الأساطير قبل أيلولة هذه السلطة إلى أبولون . وهيكاتيه
هي إلاهة قرية بدائية قبل إسناد هذا الاختصاص إلى أرتيميس .



[الصورة رقم ٢٧ مأخوذة عن جانب من جوانب حديقة قصر ثرساي يدعى بالكلوناد ،
وهي دائرة من الأعمدة ، وفي وسطها يرى هاديس إله الجحيم وقد اختطف
پرسيفنيا ابنة ديمتير وحملها بين ذراعيه] .



[الصورة رقم ٢٨ مأخوذة عن رسم للفنان الفرنسي توتور أخذه بدوره
عن وعاء هيليني يوجد بمجموعة هوب بمدينة ديدن بالانجلترا ، وهي
تمثل هاديس وقد ظفر پيرسيفنيا وأصعدها قسر لمرادتها إلى
مركبته ولم يرق لإجهاشها وعويلها] .

« أيها الأناسى الجهلاء ، بل المسافونون غير القادرين على التنبؤ بالخير ولا بالشر ، وأنت ! لقد اقترفت خطأ جسيماً بهذا الجنون الذى بدا من جانبك لأنى - وأقسم بإستكس الذى لا يرحم ، وإنه أقسم يقهر الآلهة - كنت عازمة على أن أجعل ابنك العزيز فى مأمن من الشيخوخة وأن أصيره غير قابل للفناء ، وأن أغمره فى مفاخر لا تنفاهى ، ولكن الآن لم يعد مسموحاً له بأن ينجو من الموت أو أن يفر من المصير الأسود ، ومع ذلك فسيظل طول حياته ماجداً مبجلأً لأنه جلس على ركبتى ، ونام بين ذراعى ، ولكنى أنبئكم بأن أهل إيلوسيس بعد انقضاء عهد هذا الوليد ، وبعد مرور سنوات عدة سيكونون إلى الأبد فى حرب داخلية طاحنة . أما أنا فإننى ديمتير المجددة ، وإنتى المرحُ والثراء الأعظم للآلهة والفانين ، ولكن ما علينا من هذا كله ، فليشترك جميع الشعب فى بناء معبد ضخم لى وفى تأسيس مذبح فى داخل هذا المعبد ، وأن يكون هذا إلى جانب سور المدينة . . . وفى مقابل ذلك سأكشف لكم أنا نفسى عن أسرارى لىكى تقدموا إلى الضحايا فى المستقبل فتهدئوا بذلك سخط نفسى^(١) . »

وعلى أثر هذا تنزع الإلهة تلك الصورة الزائفة وتقذف بالشيخوخة عرض الأفق ، وتستعيد صورتها الحقيقية ، فيتنفس الجمال من حولها ، وتتضوع العطور الرقيقة من معطفها ، وينبجس النور من ذلك الجسم الأبدى ، ويتموج شعرها الذهبى فوق كتفها ، وتتلأ القصر أشعة خاطفة كأنها الصاعقة . وعلى الفور تغادر ديمتير المسكان لا تلوى على شىء مما حولها . وإذ ذاك لا يسع أهل مدينة إيلوسيس إلا أن يلبوا هذه الرغبة فيؤسسوا ذلك المعبد .

بيد أن ديمتير لما كانت لا تزال حانقة على جميع الآلهة والأناسى ، فإنها تنكب هؤلاء الأخيرين بسنة قاحلة تخفى فيها البذور فلا تنبت الأرض شيئاً ، وبهذا يصبح بنو البشر جميعاً مهددين بالموت ، فيقلق ذلك زوس ويروعه ، فيبعث إليها إيريس ذات الأجنحة الذهبية لتهديء من حديثها ، ولكنها تقسم بأعظم الأيمان أنها لن تصعد إلى الأوليوس ولن تدع

(1) Les Hymnes Homériques, trad. Leconte de Lisle, p.424.

شيئاً ينبت في الأرض قبل أن ترى ابنتها ذات العينين الجميلتين ، فلا يملك زوس إلا أن يرسل هرميس إلى أخيه هاديس ليوافق على أن يدع برسيقُنيا تعود إلى عالم النور ، فلا يجد إله الموتى بداً من الإذعان إلى هذه الرسالة ، ولكنه يطعمها قبل فراقها إياه نوعاً من الرمان يشتمل على سر قهرها على العودة إليه . وهكذا ترى ديمتير ابنتها من جديد فيكون سرورها بهذا اللقاء عظيماً . وحينئذ يصمم زوس على أن تبقى برسيقُنيا ثلثي السنة مع والدتها، والثلث الباقي في مملكة الموتى مع زوجها ، فتهدا الإلهة وتعيد الخصوبة إلى الأرض فتتحلى بالزهور والأوراق من جديد ، وليس هذا فحسب ، بل تفضل على البشر فتكشف لهم قبل صعودها إلى الأولمبوس عن السراياائل الذي وعدت به أهل مدينة إيلوسيس . ولهذا تظل محبوبة ممجدة من جميع بني الإنسان .

لم يكشف عالم الأدب الحديث هذه الأنشودة إلا في سنة ١٧٨٠ ، وقد انعقد إجماع النقاد منذ دراستهم إياها على أنها أنفس هذه المجموعة على الإطلاق ، وأنها متقنة الصناعة ، جيدة الصياغة ، واضحة المعاني ، عميقة المرامي ، تهدف إلى جانب خطير من جوانب الديانة الهيلينية ، فالمؤلف قد رسم لنا فيها لوحة فائقة شاملة وضع في وسطها صورة بارزة مجسمة للألم الأموي الذي يتفجر لهيبه من قاب الوالدة الرؤوم حين تشكل فلذة كبدها، ولوعة هذه الوالدة التي يلهمها الحب ويضئها الحنان والتي يذكىها اليأس تارة حين يتغلب ، ويضعفها الأمل تارة أخرى حين يتلأأ بريقه الخلاب ، أو يلوح بصيصه الساحر ولو كان من سراب .

ولقد أحاط المؤلف هذه الآلام بمناسط ساهرة للأسرار الغيبية وما يخفيها عن عقول البشر من ظواهر الأسرار الكونية ولا سيما سر إيلوسيس التي فازت في العالم القديم بشهرة عظيمة كان لها في الدين الهيليني عامة وفي طائفة الأرفية خاصة أثر فعال. وهذه الأخيرة قد أثرت بدورها في المدرسة الفيثاغورية تأثيراً يمنحها قيمة كبرى .

وفوق هذا فقد زج شاعرنا فيما بين ذلك بطائفة من التقاليد القديمة وشرذمة من الطقوس الموروثة التي قامت فيما بعد لدى النقاد المحدثين كبراهين ناصعة على نشأة هذه الأنشودة في المنطقة الأثينية . ويرجع الباحثون منشأها إلى ما قبل القرن السادس بزمان وجيز .

٧ - نشيد إلى ذيونيسوس (وهو رقم ٦ في المجموعة)

لا بد أن يكون نشيد ذيونيسوس إله الخمر - قبل أن يبتزه البلى أو تعدو عليه يد الزمان -
طويلاً كغيره ، ولكنه لم يبق منه سوى شذرات صغيرة مشوهة تروى لنا إحدى حادثات ذلك
الإله ، وبجملها أنه بينما كان سائراً على شاطئ بحر التيرانى إذ بفريق من القرصان يلحقونه
فينقضون عليه انقضاض الصاعقة ويخطفونه ثم ير بطون يديه ورجليه ، فتتحل الأربطة وتسقط
من تلقاء نفسها إلى جانب قدميه ، فيجلس باسماً ناظراً إليهم بعينيه الزرقاوين نظرة احتقار وازدراء ،



[الصورة رقم ٢٩ تمثل
حوضاً في أحد جوانب حديقة قصر
فرساي يدعى بحوض ذيونيسوس ،
ويرى في هذه الصورة ذيونيسوس
إله الخمر جالساً فوق صخرة في
وسط الحوض وعلى رأسه تاج من
أغصان الكرم وعناقيدته .]

وإذ يرى ذلك ربان السفينة يرجح أنه إله فيرتاع من هذا العدوان ويهتف برفاقه قائلاً :
« أيها المعاتبه ماذا صنعتم ؟ ومن هذا الإله القوى الذي قبضتم عليه وأوثقتموه
بالأربطة ؟ ! أيها السفهاء كونوا على يقين من أن سفينتنا لا تقوى على حمله ، إذ أنه لا بد
أن يكون زوس أو أبولون ذا القوس الفضية^(١) » .

ولكن رئيس القرصان يسخر من رأيه ويحمل ديونيسوس على السفينة ويأمر
بالاستعداد للإبحار فوراً . وعلى أثر ذلك يتحول هذا الأخير إلى أسد يتبعه دب مفزع ثم
يزار زئيراً مروعاً ويقفز إلى رئيس القرصان فينشب أظافره بجسمه ، وإذ ذاك ينزعج رفاقه
ويقذفون بأنفسهم إلى البحر ، فيحولهم ديونيسوس إلى دلافين إلا الربان ، فإنه يعطف
عليه ويكشف له عن حقيقته ويطمئنه على حياته ويغمره في السعادة والهناء .

٨- نشيد إلى أثينيه (وهو رقم ٢٨ في المجموعة) :

لم يبق لنا من هذا النشيد إلا نتف صغيرة أو شذرات مبتورة ، وهو يروى لنا كيف
أن أثينيه ذات العينين الزرقاوين والقلب الجموح وحامية المدن قد خرجت من رأس زوس
مغطاة بأسلحة من ذهب شاهرة حربتها ، وكيف أن السماء والأرض قد اهتزتا عند خروجها
اهتزازاً عنيفاً ، وأن الآلهة قد سعدوا جميعاً بوجودها ، ويصور المؤلف هذا فيقول :

« وفي الحال تنبثق إلهة الحكمة بغتة وفي عنف من ذلك الرأس الأبدى شاهرة حربتها
الحادة ، وعند ذلك يهتز الأولمپوس العظيم تحت قفزة الإلهة ذات العينين الزرقاوين ، وترن
الأرض من حوله رنيناً مفزعاً ، ويضطرب البحر قاذفاً بمياهه القانية ، ولكن هذا البحر
لا يلبث أن يهدأ ، وكذلك هليوس الماجد بن هيريون لا يلبث هو الآخر أن يقف جياده
ذوات الحوافر السريعة إلى أن تنتزع العذراء بالاس أثينيه أسلحتها الإلهية من فوق كتفها
الأبديتين ، ولقد سعد زوس الحكيم بكل ذلك .

(1) Hymnes Homériques, trad. Leconte de Lisle, ds. vol. L'odyssée, p. 399.

وأخيراً أحبيك يا ابنة زوس ذى العاصفة ، وسأذكرك دائماً »^(١) .

٩ - نشائد مختلفة :

يشتمل كل نشيد من هذه النشائد إما على ذكر جزء مقتضب من تاريخ أحد الآلهة وإما على ثناء عاطر على هذا الإله . ومن بين هؤلاء الآلهة الذين ذكروا في تلك النشائد : زوس ، وأريس ، وهيفيستوس ، وهيليوس ، وبوسيدون ، وإستيه ، وهيريه وغيرهم . فمثلاً يحدثنا الشاعر في النشيد السادس والعشرين أن الذين يروون أن الإله ذيونيسوس إله البحر ولد في جزيرة تكسوس أو في مدينة ثيبا أو في غيرها من بلاد الهيلين يسكذبون ، وإنما الصحيح ، أنه ولد فوق قمة جبل شاهق إلى جانب نهر إيجيبتوس أى النيل .

(ب) قصائد الهجاء

لم يبق لنا من هذه المجموعة الهجائية سوى سبع عشرة قطعة ألفها عدد من الشعراء في فرص مختلفة ، وهي ترجع كلها إلى أواخر العصر الحاسي ولا تخلو من حسن كما أنها تشتمل على بعض الصور الشعرية الفنية ، ولنأخذ لهذا مثلاً الهجاء الرابع الذى يبدو أن مؤلفه قد سدد فيه سهامه اللاذعة إلى قوم في مدينة « كيمييه » بآسيا الصغرى كان قد نزل عليهم فلم يكرموه ، وقد جاء في نهايته ما يلي :

« إني سأحتمل المصير المحتوم الذى قدره علىَّ أحد الآلهة عند مولدى ، وسأتجلد وألقى بقلب صبور عدم تمام الأشياء التى كان الواجب يقضى بأن تتم ، ومع ذلك فأعضائي تشتهي ألا تقيم بعد في شوارع كيمييه ، وقلبي الكبير يدفعني إلى أن أنتجه إلى شعب آخر ولو أنى فاقد القوى » .

(1) Hymnes Homériques, trad. Leconte de Lisle, ds vol. L'odyssée, p. 412

(ح) المرجيتيسية

عنوان المؤلف قصيدته هذه بهذا العنوان لأن بطلها الأساسى يدعى ، مرجيتيس ؛ ولما كانت هذه القصيدة قد فقدت جميعها فإننا لا نعرف شيئاً عن موضوعها ولا عن غايتها بالضبط ، وإنما كل الذى نعرفه فى هذا الشأن هو أن بطلها مارجيتيس كان غاية فى الحق والسفه وسوء التدبير ، لا يأتى عملاً إلا ليجعل نفسه أضحوكة الضاحكين وأهزوءة الهازئين ولا يباشر أمراً إلا ليخفق فيه ويعود منه صفر اليدين خائب الأمل. وقصارى القول أنه كان لا يصلح لأى شأن من شؤون الحياة . ويرجع الفضل فى تعريفنا بهذه الشخصية التى تمثل الجانب الأدنى من الحياة إلى أفلاطون وأرسطو حيث قال عنها الأول فى بيت له ما يلى :

« إنه كان يعرف أن يعمل كثيراً من الأشياء ، ولكنه لا يعمل أى شىء كما ينبغى »^(١)
وقال عنها الثانى ما يأتى :

« إن الآلهة لم يخلقوا منه عاملاً للأرض ، ولا حراثاً ، ولا رجلاً صالحاً لأية مهنة ، وإنه لم يكن كفتاً لأى شىء »^(٢) .

صيرت هذه الأوصاف مرجيتيس مثلاً يضرب لكل شخص يخفق فى أبسط الأعمال ويقصر عن النجاح فى أتفه الأمور . ويظهر أن مؤلف هذه القصيدة قد تعقب طباع أوديسوس وحكمته وتبصره ونجاحه فى كل شىء وقدرته على الفوز فى كل مشروع ثم صور بطله على الطرف المناقض لهذا تماماً ، فجاءت قصيدته لوحة للسخرية أكثر منها لأى شىء آخر . وفى هذا يقول أرسطو :

« إن المرجيتيسية كانت للمهازل عين ما كانته الإلياذة والأوديسا للمآسى »^(٣)

Platon, Alcibiade II, 47. (1)

(٢) انظر الباب السابع من الكتاب السادس من « الأخلاق إلى نيقوماخوس » .

Aristote, Poétique, Ch. 4 (3)

(٥) البتراءخيوماخيا أو قصيدة الضفادع

تبلغ أبيات هذه القصيدة نحو ثلثمائة بيت يخصصها مؤلفها كلها للهزل والسخرية ، فيحاكي فيها الإلياذة محاكاة سخيفة مقرزة لا تخلو من إسفاف ، إذ يستبدل ، أخيلوس ، وأوديسوس ، و ، أجاممنون ، و ، هكتور ، وجنودهم بجيشين من الضفادع والفيران ويشعل لهيب الحرب بينهما ويصور بعض الآلهة يناصرون أول الجيشين ، والبعض الآخر يناصرون الثاني على نحو ما يحدث في الإلياذة تماما . ومن الممكن أن يكون هذا الشاعر المسف قد قصد السخرية بالمثل العليا التي تفيض بها الإلياذة ، أورعى إلى الاستهزاء بهوميروس ، لأن عقليته الضعيفة قد قصرت عن التطاول إلى علياء ذلك الأدب الرفيع ، شأن كل الذين يطعنون على ما لا يفهمون ، ويسخرون مما لا يتذوقون . وسواء أصبح الفرض الأول أم الثاني ، فإن هذا الشاعر قد نزل بنفسه إلى مستوى جدير بالإشفاق أكثر منه بالنقد .

ويعلق الأستاذ كروازيه على هذه القصيدة بما معناه : « لو كان هذا الشاعر يريد أن يسخر من عواطف الأبطال العظيمة لاستطعنا أن نعني بهذا الإدراك العامي الذي يتعارض مع الانعاطف المثالي ، ولكنه ليس لديه شيء من هذا ، لا هذه الفكرة ولا غيرها ، ولا تخرج قصيدته عن أنها نوع من اللهو محروم نعمة الرشاقة وخفة الروح ، ولا يوجد فيها من ألوان الابتكار إلا الأسماء واختيار أنواع أسلحة المعركة وأما ما عدا ذلك فهو لا يساوى شيئا ، وإنما هو محاكاة ، بل إن لغة هذه القصيدة نفسها ليست شعرية » ^(١) .

(١) Croiset , Histoire de la Litt. grecque, t.I, p. 588 .

خاتمة

رأينا أن منتجات العصر الحاسى هى التى كانت تقوم وحدها بتربية الشعب وثقافته فى ذلك العهد الفارط ، فالهوميروسيات كانت تتولى قيادة حياته الخلقية نحو السمو ، وتحاول إلحاقها بالمثل العليا ، وترسم له النماذج الفاتنة فى الشجاعة والأمانة والوفاء والغيرية والتضحية والفدائية والتبصر وحسن التدبير والحكمة . وبالإجمال : تصور له البطولة فى أعلى قممها ، وأبهى صورها .

والهزيودوسيات كانت تتولى تهذيب حياته العملية فتصوغ فى أساطير القدماء خير القواعد الاجتماعية ، وتنظم الأفعال الواقعية وتجمعها تحت راية قانون عمرانى تحدد مواده مايجب أن ينهجه الأهلون من أنهاج ويسلكوه من خطط ويقوموا به من أعمال فى كل فصل من فصول السنة ، وماينبغى اتقاؤه وتجنبه . وبالإجمال : كل ماتطلبه الحياة النشيطة من أمة حية طامحة إلى السكمال .

والثيوغونيا كانت ترسم له هيكل التاريخ الذى فيه ماضيه بخيره وشره ، ليتخذ منه أستاذاً للحاضر والمستقبل بصور لها الخير فى لوحة جميلة ساحرة تأخذ بمجامع النفوس ، والشر فى صورة دميمة بشعة تروع العقول وتنفر القلوب . وقصارى القول إن هذا العصر - كما يقول الأستاذ كروازيه - « قد ملأ الأخيلة بصور عظمى واستحدث فى ماجريات الحياة العامة طائفة هامة من العواطف والأفكار ، وابتدع لهم لهجة رقيقة رشيقة . وبالإجمال : كان كل إنسان يتأثر بالشعر فى ذلك العهد لايفكر إلا بعقل هوميروس ، وهزيودوس ، وكانت القصائد التى عزيت إليهما هى الأدب الوحيد المعروف ، ولم تكن تلك المنتجات إحدى (م ١٦ - الأدب الهيلينى)

صور الشعر كما هي عندنا الآن ، وإنما كانت كل الشعر ، وكان الشعر إذ ذاك يشمل التاريخ والأخلاق وكل مبتغيات العقل ، أى كان الناس يعيشون فى القصائد ويتنسمون هواءها . وهكذا عادت المواهب التى أنتجت هذا الشعر فاستعملته فى تنمية نفسها فأصبحت العقول التى تذوقت ، هوميروس ، و ، هزiodوس ، يتغلغل فيها - بسبب هذا التذوق نفسه - النظام والانسجام والجمال والإخلاص والرشاقة والجرأة المتزنة . ولأريب أن النتيجة الحتمية لهذا هى أن الشعر الموسيقى الذى تستحدثه هذه العقليات يكون شبيهاً بها فى تلك المحامد^(١) وهذا الشعر الموسيقى هو الذى سنلتقى به فى الجزء الثانى من هذا الكتاب .

(1) Croiset , Même ouvrage, p. 594 - 595

المخطوطات والمطبوعات والتراجم الأساسية

لمنتجات العصر الحماسي

(١) المخطوطات

١ - الإلياذة

توجد للإلياذة عدة مخطوطات نظهرنا دراستها على أنها قد نسخت جميعها من نصوص ترجع إلى القرنين : الثالث والرابع بعد المسيح أى بعد أن ظهرت نتائج مجهودات أدباء الاسكندرية ، وقد عرف ذلك من أن الاسكندريين قد حذفوا من الإلياذة مقطوعات ، آمنوا - لأمر ما - بأنها ليست لهوميروس ، ولكن النقاد المحدثين ألفوا فريقاً من القدماء الذين سبقوا العصر الاسكندري مثل بلوترخوس وأثينيثوس يعززون تلك المقطوعات بالذات إلى هوميروس ، فحملهم ذلك على الدرس والتحليل والموازنة حتى انتهوا من إعادتها إلى هوميروس .

ومها يمكن من شيء ، فإن أجدر هذه المخطوطات بالاعتبار مخطوطة توجد في مكتبة القسيس مرقس بمدينة البندقية ، وقد وضع لها - كطابع يميزها عن غيرها - عنوان فينيتوس^(١) « Venetus A » ويرجع تاريخها إل القرن العاشر بعد المسيح ، وقد كتبت بعناية فائقة ، وذيلت بهوامش وتعليقات للشرح والإيضاح بأقلام : أرسطرخوس وغيره من المعقبين ، وقد بقيت هذه المخطوطات مطبورة حتى كشف أنس دى فلوازون الفرنسي النقاب عنها في سنة ١٧٨١ .

(١) فينيتوس هو نسب لاثني إلى مدينة البندقية التي توجد المخطوطة في مكتبتها .

وهناك مخطوطات أخرى جيدة تتراوح تواريخها بين القرون الحادى عشر والثانى عشر والثالث عشر ، ففي البندقية توجد مخطوطة نسخت فى القرن الحادى عشر ، وفى فلورنسا مخطوطتان أولاهما كتبت فى القرن الحادى عشر ، وثانيتها فى القرن الثانى عشر . وفى جنيف واحدة نُسخَت فى القرن الثالث عشر ، وفيما عدا ذلك توجد شذرات مختلفة مكتوبة على أوراق البردى قد عثر عليها فى المدافن المصرية الأثرية ، وتتراوح تواريخ نسخها فيما بين القرنين الثالث قبل المسيح والثانى بعده ، وقد نشرت هذه الشذرات جميعها فى المجلة الباريسية « Notices et extraits de manuscrits , t . 18 »

٢ - الأوديسا

يرجع تاريخ أقدم مخطوطات الأوديسا المتداولة إلى القرن الثانى عشر ، وهى لا تزيد على أنها تسجل نصوص هذه الفريدة على النحو الذى كانت معروفة عليه فى العصر البيزنطى . ومما يلفت النظر فى هذه المخطوطات أنها أقل صحة من مخطوطات الإلياذة ، ولكن الشروح والتعليقات التى ذيلت بها تجعل من الميسور معرفة تلك النصوص كما كانت فى العصر الاسكندرى بحالة تكاد تشبه فى الوضوح حالة الإلياذة . وأولى هذه المخطوطات بالعناية ما يوجد منها فى ميلانو ، وينا ، وباريس ، ومونيخ ، وهمبرغ .

٣ - القصائد الهزiodوسية

توجد لإنتاج هزiodوس عدة مخطوطات ، ولكن أهمها هو ما تقارجح تاريخه بين القرنين : الحادى عشر والخامس عشر بعد المسيح . ففي فلورنسا يوجد أفضل مخطوطات « الأعمال والأيام » ويرجع تاريخها إلى القرن الثانى عشر . وهناك مخطوطتان أخريان ترجع أولاهما إلى القرن الثالث عشر وثانيتها إلى القرن الخامس عشر تشتمل كل منهما على الشيوغونيا وترس هيركليس . وفى باريس توجد مخطوطة تحمل تاريخ القرن الخامس عشر ، وهى تحتوى على القصائد الثلاث : « الأعمال والأيام » و« الشيوغونيا » و« ترس هيركليس »

ومخطوطة أخرى للأعمال والأيام مذيلة بقطع من تعليقات بركليس . وفي البندقية توجد مخطوطتان يرجع تاريخهما إلى القرن الرابع عشر ، وهما تشملان كل المنتجات المعزوة إلى هزiodوس مذيلة بهوامش . وفي مسينا توجد مخطوطة للأعمال والأيام يرجع تاريخها إلى القرن الثاني عشر .

(ب) المطبوعات

طبع ديمتريوس خلكنديلوس « الإلياذة » و « الأوديسا » في فلورنسا للمرة الأولى في سنة ١٤٨٨ وطبع « الأعمال والأيام » في ميلانو في سنة ١٤٩٣ ثم جعلت الطباعات بعد ذلك تتوالى إلى أن جاء العصر الحديث فكان من أهمها ما يلي :

١ - الإلياذة والأوديسا معاً

مازون ، مجموعة بُوديه ، باريس . - دَنْدَرْف ، مجموعة ديدو ، ١٨٧٧ ، باريس . -
لُدَوِيخ ، ١٩٠٧ ، لِبْزِيخ . - بِيرون ، ١٨٨٣ ، باريس ، وبها تعليقات فرنسية . -
أَميس ، هِنس ، كُوير ، مجموعة تُبْنِير ، لِبْزِيخ ، وبها تعليقات ألمانية .

٢ - الأوديسا وحدها

فُكْتور بيرار ، مجموعة بُوديه ، ١٩٣٥ ، باريس .

٣ - الدائرة الحماسية

دَنْدَرْف ، ١٨٣٧ ، باريس ، وهو يحتوي على جميع شذرات الدائرة الحماسية وعلى
« خِرِسْتوماثيا » لِبْرَكْلوس ، وقد أسلفنا الحديث عنه . - مولير ، ١٨٢٩ ، لِبْزِيخ . -
كَنْسِكِيل في الجزء الأول من منشوره المسمى « Epicorum graecorum fragmenta » .
١٨٧٧ ، تُبْنِير ، لِبْزِيخ . - جِسْفُرد ، ١٨٥٢ ، لِبْزِيخ ، وهو يشتمل على خِرِسْتوماثيا
لِبْرَكْلوس .

٤ - القصائد الهزiodوسية مجتمعة

رزانخ ، ١٩٠٢ ، تُبْنِير ، لِبْزِيخ . - مازون ، مجموعة بُوديه ، باريس . - لِرَنس ،

مجموعة ديدو ، باريس . - سِتْل ، ١٨٨٩ ، أثينا ، وعليه هوامش للشرح والتعليق .

٥ - الأعمال والأيام وحدها

وَلَز ، ١٩٠٩ ، باريس ، وعليه هوامش فرنسية . - مازون ، ١٩١٤ ، باريس ،
وعليه هوامش فرنسية كذلك .

٦ - النشائد الهوميروسية

بُومِسْتِير ، ١٨٦٠ ، لِبَزِيْج . - جِيْمُول ، ١٨٨٦ ، لِبَزِيْج ، وعليه تعليقات ألمانية . -
أَلِيْن ، ١٩٠٦ ، لندن . - رِيْزَاخ ، ١٩٠٢ ، تُبْنَسِير ، لِبَزِيْج . - هَمِير ، مجموعة بوديه ،
باريس .

(ح) الترجمات

١ - إلى الفرنسية

الإلياذة وحدها - پَرْتِلِي سَنَت هَلِير ، ترجمة شعرية ، باريس
الإلياذة والأوديسا معاً - دُوجا مُنْبِيل ، ١٨٣٤ . - لِيْكُنْت دِي لِيل ، لِيْمَسِير ،
باريس ، [وقد ذيل الأوديسا بترجمة للنشائد الهوميروسية] . - مَنِّيَان ، باريس .
الأعمال والأيام . - وَلَز ، ١٩٠٩ ، بُرُكْسِيل .

٢ - إلى الألمانية

أَلْبُوغُونِيَا - شومان ، ١٨٦٨ ، برلين .

٣ إلى اللاتينية

قصائد الدائرة الحاسية - مولير ١٨٢٩ ، باريس .

٤ - إلى العربية

الإلياذة - توما البستاني ترجمة شعرية ، مطبعة الهلال بالقاهرة ١٩٠٤ ، وقد صدرها
بمقدمة عن هوميروس وشعره .

BIBLIOGRAPHIE

Histoires de la littérature grecque .

W. Christ, 1905, Leipzig, Teubner .

A et M. Croiset, Boccard, 1928, Paris .

M. Egger, Delaplane, Paris .

J. - P. Mahaffy, 1903 - 1904, Oxford .

A. Pierron, Paris, 1863 .

O. Müller, trad. Hillebrand, 1865, Paris .

Wilamowitz . Moellendorff 1905, Leipzig, Teubner .

ETUDES.

E. Audoin, Etude sommaire des dialectes Grecs littéraires,
1891, Paris .

V. Bérard, Les Phéniciens et L' Odyssée, 1902, 1903, Paris .

— , Les Navigations d' Ulysse, Paris .

— , Nausicaa et le retour d' Ulysse, 1929, Paris .

A. Bougot, Etude sur L' Illiade d' Homère, 1888, Paris .

M. Bréal, Pour mieux connaître Homère, 1906, Paris .

Chaignet, Les Héros et les Héroïnes d' Homère, Paris .

Couat, Homère, Paris, 1886 .

P. Decharme, Mythologie de la Grèce antique, 1886, Paris .

A. Duruy, Histoire de la Grèce antique, Paris, 1883 .

Dugas - Monbel, Histoire des poésies homériques, 1834,
Paris .

E. Egger, La littérature grecque, 1890, Paris .

H. Flach, Das System der hésiodischen Kosmogonie,
1874, Leipzig .

A. Fouillée, Esquisse psychologique des peuples
européens, 1903, Paris .

- J. Girard, Le sentiment religieux en Grèce, 1879, Paris .
P. Girard, Comment a dû se former l' Illiade, dans Revue
des études grecques, tome xv, 1902, Paris .
Grote, Histoire de la Grèce antique, trad. franç. Sadous,
Paris .
H. Hignard, Les Hymnes Homériques, 1864, Paris .
Humbert et Berguin, Histoire illustrée de la littérature
Grecque, Didier, Paris .
Gugniaut, De la Théogonie d' Hésiode, Paris .
Mazon, Hésiode, dans Revue d' études anciennes, t. XIV,
1912, Paris .
Puech, L' Illiade, Analyse et com. Paris .
G. Sortais, Illios et Illiade, 1894, Paris .
P. Waltz, Hésiode et son poème moral, 1906, Paris .
-

LEXIQUE

- Ebeling, Lexicon Homericum, 2 vol., 1885, Leipzig .
-

فهرس الموضوعات

صفحة

الإهداء .

٣

مقدمة .

١٢

دراسة لابد منها .

منشأ الأمة الهيلينية وتسميتها ، ميزات الهيلين وعيوبهم ، اللغة الهيلينية
ولجاتها ، خصائص الأدب الهيليني ، العصور التي أنشئ فيها هذا الأدب .
العصر اليناني .
الشعر الحماسي .

٢٧

الفصل الأول : إيضاح العناصر الأولية للأدب الهيليني .

تمهيد ، أسطورة حرب تروادة .

٣٤

الفصل الثاني : الإلياذة .

تلخيص وتحليل ونقد (١) الأنشودة الأولى . (٢) من الأنشودة
الثانية إلى العاشرة . (٣) الأنشودة الحادية عشرة . (٤) من
الأنشودة الثانية عشرة إلى الخامسة عشرة . (٥) الأنشودتان السادسة
عشرة والسابعة عشرة . (٦) من الأنشودة الثامنة عشرة إلى الأخيرة .

٥٨

الفصل الثالث : نقاش وجدل .

٥٨

(١) كيف تكونت الإلياذة .

٦٢

(ب) إلماعة تقديرية .

٦٩

الفصل الرابع : شخصيات الإلياذة ، تمهيد .

صفحة

٧١

(١) الآلهة .

(١) زوس . (٢) أثينيه . (٣) هيريه . (٤) فيبوس
أبولون . (٥) أفروديتيه .

٧٥

(ب) الأبطال .

(١) أخيلوس . (٢) أجاممنون . (٣) أوديسوس .
(٤) أياس تيلامون . (٥) ذيوميديس . (٦) نستور .
(٧) مينيلأؤوس . (٨) هكتور . (٩) برياموس .

٨٠

(ح) البطلات .

(١) أندروماخيه . (٢) هيكويه . (٣) هيلينيه .

٨٢

الفصل الخامس : الأوديسا ، تلخيص وتحليل ونقد .

٨٤

(١) المجموعة الأولى أو التيلياخوسية .

من الأنشودة الأولى إلى الرابعة .

٨٨

(ب) المجموعة الثانية أو أحداث أوديسوس .

(١) من الأنشودة الخامسة إلى الأنشودة الثامنة . (٢) من

الأنشودة التاسعة إلى الأنشودة الثانية عشرة .

١٠١

(ح) المجموعة الثالثة أو انتقام أوديسوس .

من الأنشودة الثالثة عشرة إلى الرابعة والعشرين .

١١٥

الفصل السادس : نظرة فاحصة .

١١٥

(١) كيف تكونت الأوديسا .

١١٨

(ب) لمحة خاطفة عن الأوديسا .

١٢٤

الفصل السابع : شخصيات الأوديسا .

تمهيد .

صفحة

١٢٦

(١) الآلهة .

(١) أثينيه . (٢) بوسيدون . (٣) بَرُثْيُوس .

(٤) كاليسو .

١٢٩

(ب) الأبطال .

(١) أوديسوس . (٢) تيليماخوس . (٣) أميوس

(٤) فِلَوْتْيُوس . (٥) لا إرتيس . (٦) الكينوؤوس .

(٧ ، ٨) نستور ومينيلائوس .

١٣٦

(ح) البطلات .

(١) بينيلپيا . (٢) نوسيكَا . (٣) هيلينيه .

١٤٠

الفصل الثامن : المائة ختامية عن الإلياذة والأوديسا .

(١) نماذج منهما .

(١) من الإلياذة . (٢) نعهد أخيلوس للكاهن بالحماية ،

إهانة أخيلوس أجاممنون ، بهر الترواديين بحسن هيلينيه ، أسف

هيلينيه ، توسلات أندروماخيه إلى هكتور ، أمنية هكتور لابنه الطفل ،

حقد أخيلوس على هكتور ، توسلات پرياموس إلى أخيلوس ، دموع

هيلينيه على هكتور . (٢) من الأوديسا ، أوديسوس متجهاً إلى

نوسيكَا ، بين أوديسوس وشبح أخيلوس ، بين أوديسوس وشبح

والدته ، كيف تروى بينيلپيا قصتها للمتسول ، إنتقام أوديسوس .

١٥٠

(ب) مصير الإلياذة والأوديسا .

تأثيرها في العالمين القديم والحديث .

١٥٤

الفصل التاسع : الدائرة الخامسة .

تمهيد .

صفحة

١٥٥

(١) المجموعة التروادية .

١٦٢

(ب) المجموعة الثيبية .

القصائد المتفرقة .

الشعر التعليمي .

١٦٧

نظرة تمهيدية .

١٧٠

الفصل العاشر هزيودوس .

١٧٠

(١) حياته .

١٧٣

(ب) منتجاته أو « الأعمال والأيام » .

(١) تلخيص هذه القصيدة وأقسامها : القسم الأول ، القسم الثاني ،

القسم الثالث ، القسم الرابع . (٢) كيف تكونت هذه القصيدة

(٣) تحليل أدبي موجز . (٤) المبادئ الأخلاقية . (٥) استخدام

الأساطير ، الإيريسان الشقيقتان أو تشخيص الحسد والغبطة ، ذيكه

أو تشخيص العدالة ، أسطورة بندوريه ، أسطورة الأجناس الخمسة ، الجنس

الذهبي ، الجنس الفضي ، الجنس الحديدي . (٦) كلف الشاعر بالطبيعة .

١٩٣

الفصل الحادي عشر : شعر الأنساب .

تمهيد .

١٩٤

(١) الثيوغونيا أو أسرة الآلهة .

(١) وقفة تحليلية . (٢) بدء الوجود . (٣) كيف تكونت

الثيوغونيا . (٤) القيمة الأدبية لهذه القصيدة .

٢١٤

(ب) قائمة الأبطال .

٢١٦

(ح) ترس هيركليس .

٢١٧

(د) قصائد مختلفة .

الميليسوسية ، نزول ثيسوس إلى الجحيم .

صفحة

٢٢٠

الفصل الثاني عشر : منتجات أواخر العصر الحاسي .

تمهيد

٢٢١

(١) أنشائد الهوميروسية

(١) نشيد إلى أبولون في ديلوس . (٢) نشيد إلى أبولون في پيثو .

(٣) نشيد إلى هرميس . (٤) نشيد إلى أفروديتيه . (٥) نشيد

آخر إلى أفروديتيه . (٦) نشيد إلى ديمتير . (٧) نشيد إلى

ذيونيسوس . (٨) نشيد إلى أثينيه . (٩) نشائد مختلفة .

٢٣٨

(ب) قصائد الهجاء

٢٣٩

(ح) المرجيتيسية

٢٤٠

(د) ألپتراخيوماخيا أو قصيدة الضفادع .

٢٤١

خاتمة

٢٤٣

المخطوطات والطبوعات والتراجم المستقلة لهذه المنتجات

٢٤٣

(١) المخطوطات

(١) الإلياذة . (٢) الأوديسا . (٣) القصائد الهزiodوسية .

٢٤٥

(ب) المطبوعات

(١) الإلياذة والأوديسا معاً . (٢) الأوديسا وحدها . (٣) الدائرة

الحاسية . (٤) أنقصائد الهزiodوسية مجتمعة . (٥) الأعمال

والأيام وحدها . (٦) النشائد الهوميروسية .

٢٤٦

(ح) المترجمات

(١) إلى الفرنسية ، الإلياذة وحدها ، الإلياذة والأوديسا معاً ، الأعمال

والأيام . (٢) إلى الألمانية ، أنثيوغونيا . (٣) إلى اللاتينية ،

قصائد الدائرة الحاسية . (٤) إلى العربية ، الإلياذة .

٢٤٧

المصادر

لفت نظر

وقعت في هذا الجزء أخطاء مطبعية بسيطة بعضها يؤدي إلى التقاء الساكنين في الأعلام الأوروبية رغم احترازنا عن ذلك بقدر المستطاع ، وبعضها الآخر بسبب كتابة أعلام هيلينية تبعاً للنطق الفرنسي . فمثال النوع الأول : أوتفريد ، برناردى ، نيستور ، سانت ؛ ومثال الثانى : أولب بدلاً من أولپوس ، وكريزيثيس ابنة كريزيس ، بدلاً من كريسيثيس ابنة كريسيس ، وبريزيس بدلاً من بريسيس ، وأديس بدلاً من هاديس ، فوجب التنبيه وفيما عدا ذلك لا يوجد إلا هفوات من النوع الخفيف كنقطة الحاء المهمة أو الهاء الأخيرة ، أو وضع نقطتين فوق الفاء وما شاكل ذلك .



من منشورات المؤلف

كتب طبعت بالعربية

- ١ — الفلسفة الشرقية (طبعة ثانية) مكتبة الإنجلو المصرية .
- ٢ — » الإغريقية جزآن (طبعة ثانية) المكتبة المذكورة .
- ٣ — » العامة (لدى المؤلف) .
- ٤ — مشكلة الألوهية (دار إحياء الكتب العربية) .
- ٥ — الأخلاق النظرية (لدى المؤلف) .
- ٦ — الفلسفة الإسلامية في المغرب (دار إحياء الكتب العربية) .
- ٧ — المذاهب الفلسفية العظمى في العصور الحديثة .
- ٨ — الجزء الأول من الأدب الهيليني (دار إحياء الكتب العربية) .
- ٩ — تفنّات ولحات (لدى المؤلف) .
- ١٠ — أفلاحون (طبعة ثانية) دار الإعلانات المصرية .
- ١١ — كولبا (دار الكتّاب المصري) .
- ١٢ — الضحية (طبعة ثانية) دار الإعلانات المصرية .

كتب تحت الطبع

- ١ — الفلسفة الإسلامية في المشرق .
- ٢ — مشكلة النفس .
- ٣ — » المعرفة .
- ٤ — » المادة والحياة .

- ٥ — الكلام والمتكلمون .
- ٦ — التصوف والمتصوفون .
- ٧ — الفلسفة المسيحية في الشرق والغرب .
- ٨ — » التجريبية .
- ٩ — تيارات الفكر الفلسفي الفرنسي (ملحق) .
- ١٠ — تاريخ الفلسفة لإميل برهيه (») .
- ١١ — معركة مع شياطين الهوى أو أسرار الحياتين : السياسية والاجتماعية في مصر .
- ١٢ — بقية كتاب الأدب الهيليني وهي أربعة أجزاء .
- ١٣ — الآداب الأوروبية الحديثة (خمسة أجزاء) .
- ١٤ — تحطيم أوثان الأدب المصري المعاصر .
- ١٥ — نقد الترجمات الفلسفية والأدبية في مصر .
- ١٦ — شهيرات النساء الأوروبيات وآثارهن الخالدة .
- ١٧ — المسبحة الوردية .
- ١٨ — أجلافيين وسيليزيت .
- ١٩ — جُمليادى تريكور .
- ٢٠ — مثل أخلاقية عليا ، وهذه الكتب الأربعة الأخيرة مترجمة .